

# أحوال مصر في عهد المماليك عند المؤرخ جلال الدين السيوطي

Condition of Egypt During the Mamluk Era

By The Historian

Jalal Al -Din Al -Suyuit

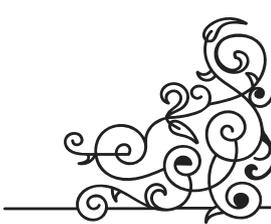
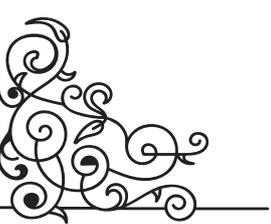
أ.م.د. إيلاف عاصم مصطفى  
كلية التربية الأساسية  
الجامعة المستنصرية - قسم التاريخ

Asst. Inst Dr Elaf Assim Mustafa

College of Basic Education

Mustansiriyah University

Department of History





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر المهمة كان من أبرزها، كتاب تاريخ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لمؤلفه جلال الدين السيوطي، تحقيق اليزابيث ماري سارتين، الذي أغنى البحث بالمعلومات القيمة من جميع جوانبه، وشكل كتاب عبد القادر بن محمد الشاذلي المعنون بهجت العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، كدراسة موضوعية عن أوضاع حياة السيوطي وما عاصره من حكم المماليك في مصر، وغيرها من الكتب التي أغنت البحث بالمعلومات القيمة.

أن مؤلفات السيوطي (جلال الدين الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر)، وآثره قد شغلت المئات من الدارسين والمختصين سواء في عصره أو بعده حتى يومنا هذا، ولا يزال نرى طلبة العلم والدارسين في الجامعات، يقدمون أبحاثهم ورسائلهم العلمية في الدراسات العليا باختيار آثار السيوطي لدراساتها شرحاً وتحقيقاً وتحليلاً، لأن السيوطي يعد واحداً من أبرز الشخصيات الفكرية المهمة في القرن الخامس عشر الميلادي، الذي كان بحق المصعب العام لعلوم المعرفة والثقافة الإنسانية وقد جال السيوطي بقلمه في كافة مجالات العلوم العربية فلم يترك تقريباً بحراً من بحور العلوم والمعرفة الإنسانية في عصره إلا وكان له فيه حظ وافر، وكذلك في تسليطه الأضواء على المظاهر الحضارية والإدارية والطبيعية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في مصر.

- المبحث الأول
  - السيوطي حياته ونشأته العلمية
  - أولاً: أسمه ونسبه
- هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري (بضم الخاء) السيوطي الأصل أو الأسيوطي<sup>(١)</sup>.

وذكر السيوطي أسمه فقال : فسماني والدي يوم الأسبوع عبد الرحمن ويرجح السخاوي أصل

قسم البحث الى مبحثين ومقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول السيوطي حياته ونشأته العلمية. أما المبحث الثاني فتضمن، السيوطي وعصره أثناء حكم المماليك في مصر.

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٠.

ويصفه بعض المؤرخين بـ (الطولوني) نسبة إلى جامع ابن طولون الذي تصدى فيه للأفتاء وأملاء الحديث، كما سيأتي<sup>(٥)</sup> :

وينتسب السيوطي إلى الخضير، وهذه النسبة جاءت من الخضيرية بلقط تصغير خضرة، والخضيرية محلة كانت ببغداد في الجانب الشرقي وتنسب إلى خضير مولى صالح صاحب الموصل، وكانت فيها سوق الجرار، وهذه المحلة كانت على معتبة من مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأشار السيوطي بالقول : وأما نسبتنا بالخضير فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية محلة ببغداد<sup>(٦)</sup>.

ويظهر أن أسرة السيوطي التي ينتمي إليها، قد أنتقلت بعد ذلك إلى مصر، واستقر بها المقام في مدينة أسيوط قبل مولد السيوطي بعشرة جيال على الأقل، وعلى الأرجح كما يرى بعض الباحثين في زمن الدولة الأيوبية، وأطلقت هذه الأسرة على الحي الذي استقرت فيه بأسيوط، أسم (الخضير) <sup>(٧)</sup>.

(٥) السيوطي، لب الباب في تحرير الأناساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١٥.

(٦) أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٨، ص ١١٤ - ١١٥.

(٧) عبد الرؤوف، مؤلفات السيوطي من بحوث ندوة القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٠٤.

السيوطي إلى أسيوط<sup>(١)</sup>، ولهذا قال كان يعرف بأبن الأسيوطي، ولكنه يشير إلى أن منهم من يسقط الألف فيقول : سيوط، ويحدد أسيوط بأنها : بلدة بديار مصر من الريف الأعلى بالصعيد<sup>(٢)</sup>.

ويذكر السيوطي أن أياه كان يكتب في نسبه السيوطي، وغيره يكتب الأسيوطي وينكر كتابة الوالد، وهنا يحاول الأسيوطي أن يجد تخريجاً لغوياً يوفق بين اللفظين فيقول : ولا إنكار بل كلا الأمرين صحيح، والذي تحدر لي بعد مراجعة كتب اللغة ومعاجم البلدان ومجاميع الحفاظ والأدباء وغيرهم، أن في سيوط خمس لغات : أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثنيث السين، إلا أن صاحب القاموس المحيط يذكر ضم سيوط أو أسيوط فقط<sup>(٣)</sup>. وبعض المراجع تشير إلى أن أسيوط بفتح الهمزة وهو الأسم الدارج للأسم العربي أسيوط بضم الهمزة وكلاهما تعريب للكلمة القبطية (سيوت)<sup>(٤)</sup>.

(١) أسيوط : مدينة من أعظم مدن مصر، وتقع غربي نهر النيل من نواحي الصعيد، للمزيد من المعلومات ينظر : أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان : وضع حواشيه : محمد أمين ظناوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٧٠.

(٢) علي بن محمد الجزري، اللباب في تهذيب الأناساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦١.

(٣) محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ص ٣٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

أهل العلم واحتاج للنظر في كتاب، فطلب من زوجته (أم السيوطي) أن تجلب له الكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتي به، فجاءها المخاض بـ (السيوطي) وهي بين الكتب فوضعتة، وهذه الحادثة على طرفتها فإنها - وهذا هو الأهم - تنبئ بمستقبل السيوطي وما سيكون عليه<sup>(٤)</sup>.

#### • ولادته:

ولد السيوطي في أول ليلة مستهل شهر رجب ٨٤٩هـ - أيلول - ١٤٤٥م، وكان مولده ليلة الأحد بعد المغرب بالقاهرة<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن المؤرخين الذين ترجموا للحياة السيوطي، قد أنفقوا على تاريخ ولادته، بما فيهم السيوطي نفسه الذي حدد بوضوح ودقة فقال: (وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة)<sup>(٦)</sup>، وذكر أنه حمل في حياة أبيه إلى الشيخ محمد المجذوب<sup>(٧)</sup>

(٤) علي بن داود الجوهري (ابن الصيرفي)، أبناء مصر بأبناء العصر، تحقيق: حسن حبشي، ط ٢، الهيئة المصرية للعلماء للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٣٤٥.

(٥) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٧) الشيخ كمال الدين المجذوب صاحب الكرامات والأحوال وهو أحد الأولياء الكبار في زمن السيوطي، ولقب بالمجذوب لأن الله سبحانه وتعالى جذبه إلى حضرته كما تقول الصوفية.

بلاد الدين عبد الرحمن بن ابن بكر السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتي،

ونعتقد أن هذا الرأي، يحمل قدراً كبيراً من الوجاهة المنطقية، ذلك أن السيوطي نفسه ذكر أن الخضيرية محلة ببغداد، وأن الخضيرية المنتمي إليها، هو من أنساب سلفي<sup>(١)</sup>.

بقي أن نشير إلى بعض الباحثين المعاصرين، ذكر أن السيوطي جهد في أحد كتبه الصغرى، دون التصريح بالكتاب في القول بأنه أنصاري جعفري الأرومة، وأن جده من أم شريفة النسب<sup>(٢)</sup>. ولكننا لم نجد من بين المصادر والمراجع التي بأيدينا ما يثبت ذلك أو يشير إليه.

#### • لقبه وكنيته:

كان السيوطي يلقب بـ (جلال الدين)، وقد ذكر هو نفسه هذا اللقب فقال: ولقبني والدي جلال الدين، وصار هذا اللقب مقروناً بأسم السيوطي وملازماً له، فما ذكر أسمه إلا مقروناً ومتصدراً بهذا اللقب<sup>(٣)</sup>.

وهناك لقب آخر له، لا يعرفه الكثيرون، ذكره العيد روس وصاحب المنح البادية، وهو (ابن الكتب)، وسبب هذا اللقب أن أباه كان من

(١) السيوطي، لبل الباب، في تحرير الأنساب، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٢) عبد القادر بن محمد الشاذلي، بهجت العابدين، بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الإله نبهان، دمشق، ١٩٩٨، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر (الفاسي)، المنح البادية في الأسانيد العالية، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠؛ العيدروس، النورس المسافر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٩٠.

الذي كان من كبار الأولياء الصالحين بجوار المشهد النفيسي، فأعطاه بركاته<sup>(١)</sup>.

• أسرته:

ينحدر السيوطي من أسرة عرفت بالإيمان والتقوى والورع، وتوارثت الاهتمام بالدين وعلومه، ويحدثنا السيوطي نفسه عن أسرته هذه بادئاً بأسلافه، فيذكر إن جده الأعلى الشيخ همام الدين، كان أحد مشايخ الصوفية، وكان من الأولياء الصالحين، ويذكر إن كان لجده هذا ضريح بمدينة أسيوط يزورونه الناس للتبرك به<sup>(٢)</sup>. ويشير السيوطي إلى من كان دون جده المذكور أعلاه من أجداده الآخرين فيفتخر إنهم كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، لذلك أنهم تقلدوا وظائف مهمة شغلوها في دواوين الحكومة<sup>(٣)</sup>.

أما والده الذي لا يعرف السيوطي احداً من أسلافه خدم العلم حق الخدمة، وخلع عليه أوصافاً وألقاباً علمية طويلة، فقال: (هو الإمام العلامة ذو الفنون الفقيه، النحوي، الحاسب، البياني، المنشأ، البارع، أبو المناقب وغيرها من الألقاب، ثم يذكر نسبه الذي سقناه في نسب السيوطي ويقول: (هكذا وجدت هذا النسب في

(٤) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، التحدث بنعمة الله، تحقيق: اليزابيث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٩٠.

(٥) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: أبو الفضل، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٧٥.

(٦) هو المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل، تولى الخلافة بعهد من أخيه الشقيق، وكتب له والد السيوطي نسخة العهد. توفي سنة ١٤٥٠م، ومشى السلطان في جنازته. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر:

(٧) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ٦٠ - ٦٥.

المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٢٧، ص ١٢.

(١) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٢) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

مات الكمال فقالوا  
ولى الحجا والجلال  
فللعيون بكاء  
وللدموع أنهم مال<sup>(٣)</sup>  
أما أم السيوطي فكانت تركية، ولم يتحدث  
السيوطي عن أمه ونسبها كما تحدث عن أبيه  
ونسبه، ولم نجد لها بحدود ما أحطنا به من  
تراجم ترجمة مفصلة لها حتى إن السيوطي في  
ترجمته لنفسه، لم يشر إليها مجرد الإشارة عنه  
ذكرها في معرض رده على ابن الكركي، الذي  
عاب عليه بأن أمه غير عربية، قائلاً بوضوح إن  
أمه جركسية، وإن ذلك ليس عيباً لأن النسب  
الى الآباء، لا الى الأمهات وأجدادهن، وقد ذكر  
العلماء إن أغلب نجباء الأمة وكبرائها أولاد إهماء،  
وقد تضمنت مقامته (طرز العمامة في التفرقة بين  
المقامة والقمامة) فحوى هذا الكلام الذي رد فيه  
السيوطي على خصمه المذكور أعلاه، ويبدو أن  
أم السيوطي كانت من المعمرين لأنها شهدت  
وفاة ولدها، وبنت عليه قبة، وعندما توفيت  
دفنت على جانبه<sup>(٤)</sup>.

وقد مرض والد السيوطي أياماً قليلة، وكان  
مرضه بـ (ذات الجنب)، كما كان يسمى في زمن  
السيوطي، وفي عصرنا الحاضر هو التهاب رئوي  
يصيب الغشاء المحيط بالرئة، ثم توفي شهيداً،  
كما يقول السيوطي بهذا المرض، وأنا عند رأسه،  
وكانت وفاته بالتحديد، وقت أذان العشاء ليلة  
الاثنين من صفر خمسة وخمسين وثمانمائة، بعد  
وفاة صديقه الخليفة العباسي المستكفي بالله  
بأربعين يوماً<sup>(١)</sup>، وكان عمره حين توفي (٤٨) سنة  
وكان عمر السيوطي آنذاك خمس سنوات وسبعة  
أشهر، وقد وصل حينها في حفظ القرآن الى  
سورة التحريم، ودفن بالقرافة قريباً من أبي الثناء  
شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد  
الأصفهاني الذي مات هو الآخر شهيداً، ولكن  
بمرض الطاعون سنة ١٣٤٩م<sup>(٢)</sup>.

ويبدو واضحاً من عمر السيوطي أثناء وفاة  
والده، أنه نشأ يتيماً، في وقت مبكر من حياته،  
ويورد السيوطي أبياتاً من الشعر قالها صاحبه  
الشيخ شهاب الدين المنصوري، في رثاء  
أبيه مطلعها:

(٣) للاطلاع على القصيدة كاملة، ينظر جلال الدين عبد  
الرحمن بن إبي بكر السيوطي، تاريخ حسن المحاضرة في  
أحوال مصر والقاهرة، ص ٣٤١؛ جلال الدين عبد الرحمن  
بن إبي بكر السيوطي، يتحدث بنعمة الله، ص ١١.  
(٤) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق،  
ص ٢٥٩ - ٢٦١؛ جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر  
السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي،  
تحدث بنعمة الله، تحقيق: اليزابيث ماري سارتين،  
المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٠.  
(٢) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق،  
ص ٦٤؛ جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي،  
حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، القاهرة،  
ص ٣٤٠.

• نشأته العلمية :

والنحو والأصول، ثم قرأ الفرائض والمواريث كما سمع على عدد كبير من شيوخه في الفقه وغيره من المسموعات الأخرى التي أوردها تلميذه الداوودي في ترجمة السيوطي<sup>(٣)</sup>.

وقد رزقه الله نعمة التعدد في العلوم والتبحر في سبعة أساسية منها هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، وتأتي العلوم الأخرى المختصة بأصول الفقه والجدل والتصريف بالمرتبة الثانية ثم علم الإنشاء والترسل، والفرائض ثم القراءات الخاصة بالقرآن الكريم والتي لم يأخذها من أستاذ معين كما يدعي ثم يأتي علم الطب<sup>(٤)</sup>.

وكان في بداية طلبه للعلم، قرأ شيئاً من المنطق كعلم، لكن سبحانه وتعالى ألقى كراهته كما يقول في قلبه فتركه فضلاً عن ما سمعه من فتوى تحرم هذا العلم، لكن من المفارقات إنه عاد بعد عشرين سنة إلى دراسة المنطق ومعرفة أصوله وقواعده، وكتب بذلك كتاباً سماه (صون المنطق والكلام عن، فني المنطق والكلام، ويبدو أنه

نشأ السيوطي نشأة علمية منذ نعومة أظفاره، فقد ولد في بيت عرف بالعلم والأدب والمكانة المعرفية، ذلك أن أباه كما مر علينا كان عالماً من الأعلام وفقهياً معروفاً من أبناء الشافعية، وكان من الطبيعي يهتم بتربية ولده ويغرض في قلبه حب العلم منذ الصغرومن ثم توجيهه إلى طريق الصواب، ولذلك بدأ بتحفيظه القرآن الكريم ثم اصطحبه إلى دور العلم ومجالس القضاء ودروس الفقهاء وسماع الحديث في مجالس الحافظ ابن حجرالعسقلاني<sup>(١)</sup>.

وعندما توفي والده كفله صديق لأبيه وهو الفقيه الحنفي العلامة كمال الدين بن الهمام الذي عين السيوطي في وظيفة أبيه السابقة في المدرسة الشيخونية، وقد رعاه وأخلص في تربية إلى أن توفي سنة ١٤٥٧م وكان عمر السيوطي حينئذ إحدى عشرة سنة<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن علامات الفطنة وإمارات الذكاء والنبوغ قد ظهرت عليه بوقت مبكر من حياته فقد حفظ القرآن الكريم (أي ختمه) ولم يبلغ بعد ثمانية سنين، وأنشرح صدره به بحفظ متون الفقه

(٣) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ٦٤؛ جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكرالسيوطي، تاريخ حسن المحاضرة في أحوال مصر والقاهرة، ص ٢٦٠.

(٤) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكرالسيوطي، تاريخ حسن المحاضرة في أحوال مصر والقاهرة، ج ١، ص ٢٦٠؛ أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط ١، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٤٨.

المصدر السابق، ص ١٢٣.

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكرالسيوطي، إبي بكرالسيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

أضطر لهذه الدراسة لتكتمل لديه آلات الاجتهاد كما كان يطمح<sup>(١)</sup>.

دولتهم الثانية وهي دولة المماليك البرجية<sup>(٣)</sup>، التي يرجع قيامها الى سنة ١٣٨٢م على يد أشهر سلاطين<sup>(٤)</sup>، المماليك وهو السلطان الظاهر سيف الدين برقوق<sup>(٥)</sup> (١٣٨٢ - ١٣٩٨م) الذي قام بخلع السلطان الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين (١٣٨١ - ١٣٨٢م) آخر

### • المبحث الثاني

### • السيوطي وعصره في كتابة أحوال تاريخ

### مصر والقاهرة

### • أولاً: الحياة السياسية

يكون للزمن دور مهم وأساسي في التاريخ، ويكون لوقائعه وأحواله أثر كبير في وعي المؤرخ، ذلك أن الإنسان ابن بيئته.

لقد عاش السيوطي في مصر في زمن دولة، كان حاكمها وجيشها من المماليك<sup>(٦)</sup>، في عصر

(٣) تسمى أيضاً دولة المماليك الجراكسة، والبرجية نسبة الى أبراج قلعة الجبل مركز إقامة السلطان التي أسكنه فيها بعد شرائهم من قبل السلطان المنصور قلاوون. أحمد بن علي القريني، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ٢٤١.

(٤) السلطان لها معان عدة منها القوة والبرهان والقوة المؤثرة، وقد برزت السلطنة بوصفها مؤسسة سياسية تهيمن على الأمور الدينية الى جانب الخلافة بوصفها مؤسسة دينية. ينظر: إسماعيل الجوهري، المصدر السابق، ص ٥٠٥؛ وبارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٥) هو أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنس التركي الجركسي، وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، والأول من ملوك الجراكسة سمي برقوقاً لنتوء في عينه. توفي في فراشه سنة ١٣٩٩م. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٨١. وما بعدها؛ محمد بن عبد الرحمن سخاوي، المصدر السابق، ص ١١.

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وآخرون، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٣.

(٢) جمع مملوك، والمملوك هو العبد الذي سبي ولم يملك أبواه، والعبد القن هو الذي ملك هو وأبواه ثم اتخذت التسمية مدلولاً اصطلاحياً خاصاً، فاطلقت على جموع الرقيق الأبيض الذي كانوا يصبحون رقيقاً أما نتيجة الأسر في الحروب أو الشراء من التجار الذين يجلبونهم الى البلاد الإسلامية، وكانوا يستخدمون كفرق عسكرية خاصة لتقوية نفوذ الحكام. للمزيد من المعلومات ينظر: إسماعيل الجوهري، معجم الصحاح، اعتناء خليل مامون شيحا، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٠١ - ١٠٢؛ سعيد بن الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، ط ٢، دار المعرفة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط ٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٦.

المماليك البحرية<sup>(١)</sup>، وتولى السلطة مكانه<sup>(٢)</sup>. ونصف قرن من الزمان<sup>(٥)</sup>.

وإذا أردنا التحديد الزمني، فإن السيوطي، ولد بعد سبع سنين من حكم السلطان الظاهر سيف الدين جقمق<sup>(٣)</sup>، وتوفي بعد أربع سنوات من حكم السلطان الأشرف أبو النصر قانوهو بن عبد الله البرجي المشهور بالخوري<sup>(٤)</sup>، الذي قتل في حربه مع الأتراك (العثمانيين)، وهي مدة لا تزيد عن ستين عاماً تولى سلطنة المماليك في أثنائها ثلاثة عشر سلطاناً، وقام على الخلافة فيها خمسة من الخلفاء العباسيين، وفي الإجمال العام فإن المماليك استطاعوا أن يقبضوا على الحكم في مصر بيد من حديد، مدة قرنين

(١) هو السلطان الملك الصالح صلاح الدين أبو الجود حاجي (أمير حاج) بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون. للمزيد من التفاصيل حول السلطان الصالح صلاح الدين الحاجي بن شعبان بن حسين. ينظر: أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥، ١٩٩٧، ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩.

(٣) هو محمد جقمق العلاني الجركسي، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الأتراك في مصر، توفي سنة ١٤٣٥م. محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، ص٦٤.

(٤) نسبة إلى طبقة الغور وهي إحدى الطبقات التي كانت بمصر، معده لتعليم المؤدبين، والسلطان لغوري قتل في حربه مع العثمانيين في معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م. نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٩٥-٢٩٨.

(٥) المصدر نفسه، والصفحة.

(٦) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص١٥؛ قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك التاريخ لسياسي والاجتماعي، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١١.

العباسي نشأ ضعيفاً منذ أن سارع الملك الظاهر بيبرس بنقله الى مصر وإعلان الخلافة فيها عام ١٢٦١، وذلك بعد سقوط الخلافة العباسية بيد المغول وقيامهم بقيادة هولاكو، بقتل المستعصم بالله آخر خليفة عباسي فيها سنة ١٢٥٨م، ولجوء المستنصر بالله عم الخليفة المقتول الى مصر حيث بقيت الخلافة العباسية فيها الى مجيء العثمانيين، وفي هذا الإطار يصف السيوطي الخليفة بأنه كان مجرد أمير في حاشية السلطان، ولعل أدق وصف لحال الخلافة العباسية آنذاك، هو وصف المستشرق برناند لويس، الذي وصفها بأنها نوع من البقاء الظلي بعد الحياة، لأنه لم يكن لها قوة مؤثرة في ذلك الوقت<sup>(٤)</sup>، فإن فترات من الاستقرار السياسي توفرت للبلاد على يد بعض سلاطينها الذين كان من حظ السيوطي أن يقضي مع معظم حياته في عهودهم، وأول هذه الفترات كان في أيام حكم الظاهر جقمق الذي تولى الحكم سنة ١٤٣٨ واستمر في الحكم حتى توفي سنة ١٤٥٣م. ومن هنا نشأ عصر السيوطي الأول في ظل استقرار سياسي أمكنه في رحابه من أن يتعلم بسهولة ويسر<sup>(٥)</sup>.

(٤) ظهير الدين علي بن محمد الكازورني، مختصر التاريخ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، ط١، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠، ص ٢٦٦ وما بعدها؛ محمد بن علي بن طباطبائي، فخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٣٣١.  
(٥) عبد الكريم السيد، السيوطي محدثاً، من بحوث الندوة التي أقامها المجلس الأعلى رعاية الفنون والآداب

بالنتيجة الى القلق وعدم الاستقرار<sup>(١)</sup>.  
كان حصاد الروح التنافسية القائمة بين المماليك سلسلة من المتاعب والمنازعات التي كانت تفرض نفسها على عموم الحياة المصرية، وبخاصة كلما جلس على العرش سلطان ضعيف أو طفل<sup>(٢)</sup>.

فقد أتسم عصر المماليك وبخاصة عصر المماليك البرجية، باستشراء الفساد الشديد في الدوائر الحاكمة في الدولة، وازدياد ثورة المماليك الإجلاب وعجز السلاطين العثمانيين عن ردهم كما ذكرنا، وكثرة عزل وتولية السلاطين، فلا يكاد السلطان يبقى في منصبه أياماً بل ساعات حتى يعزل وينصب غيره، وأن عشر السلطنة في مصر بقي مشاعاً لمن يستطيع التغلب على منافسيه أو إقناع الأمراء بمساندته، وبقي الأتابك<sup>(٣)</sup> المرشح الرئيسي لمنصب السلطنة، يخلع السلطان الجديد وينصب نفسه مكانه، كما أن نظام الخلافة

(١) إيمان عمر، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال تحقيق مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣) لفظ تركي معناه الأمير الألب، وهو المرابي لأبن السلطان ثم أصبح لقباً تشريفياً منح لكبار أتابك العسكراي قائد الجيوش، ويرى القلقشندي أن أصل اللفظة أتابك بالطاء المهملة. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعات الأنشأ، ج ٤، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٨.

والاختفاء من وجه السلطان طومان باي الذي تولى الحكم في السنة المذكورة أعلاه، ولقب نفسه بـ (الملك العادل)، والذي حاول الفتك به ولم يظهر للناس إلا بعد اختفاء هذا السلطان<sup>(٣)</sup>.

وقد عاش السيوطي بقية حياته في عهد السلطان قانصوه الغوري الذي أسند إليه أمر البلاد في أول أيام عيد الفطر سنة ١٥٠٠، بعد أن قام الأمراء وخلعوا طومان باي الأول، ولكن السيوطي في ذلك الوقت كان قد اعتزل الحياة العامة ولزم بيته بروضة المقياس على النيل، وقد حدث أن أهدها السلطان الغوري، خصياً وألف دينار، فرد الألف وأخذ الخصي فاعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية، وقال لقاصد السلطان، لا تعد تأتينا قط بهدية، فإن الله سبحانه وتعالى أغنانا عن مثل ذلك<sup>(٤)</sup>.

#### • ثانياً: الحياة الاقتصادية

كان لمصر دور هام وتاريخي في التجارة الدولية منذ فجر الحضارة الإنسانية، وذلك لأهمية موقعها الجغرافي على طريق التجارة بين الشرق والغرب، وبقيت مركزاً تجارياً مهماً وحيوياً لقرون طويلة، وكان من الطبيعي أن يتأثر النشاط التجاري بشكل مباشر بالحروب والسلم، وفي أوائل هذا العصر ساد هدوء نسبي

كانت أهم وأطول فترة من فترات الهدوء السياسي التي عاصرها السيوطي وكانت بالنسبة له من أزهى فترات حياته العلمية تأليفاً وأنتاجاً هي تلك التي عاشها في عصر حكم الملك الأشرف قايتيبي<sup>(١)</sup>، والذي كان يعد أفضل السلاطين المماليك ديناً وخلقاً وأطيبهم سيرة في الناس، وقد حكم فترة من الزمن، تعد أطول فترة حكم فيها سلطان مملوكي، وقد استمر حكمه تسعاً وعشرين سنة أربعة أشهر وعشرين يوماً، ويظهر أن علاقة السيوطي بالخلفاء والسلاطين كانت جيدة بشكل عام وبخاصة مع الخليفة أبي العز عبد العزيز بن يعقوب، إذ كان صديقاً له وأسند إليه منصب قاضي القضاة، ولكن القضاة اعترضوا ذلك فتراجع الخليفة عن قراره<sup>(٢)</sup>.

أما علاقته بسلاطين المماليك كانت جيدة في البداية، ولكن بدأت بالتذبذب بل سيئة في أحيان كثيرة فقد اضطرب في سنة ١٥٠١م إلى الهرب

والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٨٩؛ برناند لويس، المصدر السابق، ص ٧٨.

(١) هو السلطان أبو النصر قايتيبي الملك الأشرف الجركسي الظاهري، وهو الحادي والأربعون بن ملوك الترك والسادس عشر من الجراكسة، أنخلع من الحكم بسبب مرضه سنة ١٤٩٥. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، المصدر السابق، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٢) أحمد بن علي المقرئ، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(٤) نجم الدين محمد بن محمد، المصدر السابق،

ص ٢٩٩.

الفلاحون من الأرض فضاقت مساحة البلاد المزروعة، فضلاً عن ما لحق البلاد من الكوارث الطبيعية، وتوالي سنوات القحط والجذب وانتشار الأوبئة، فلذلك أنعدم توفر المن لغذائي، فارتفعت الأسعار ووقع الغلاء<sup>(٣)</sup>.

وأشار السيوطي عن قيام السلاطين باستبدال العملة الفضية والذهبية، بعملة نحاسية، وقاموا بأخذ ما بأيدي الناس من نقود ذهبية فضية، مما أدى إلى عدم الثقة في التبادل التجاري، لاسيما وأن المركز النقدي للبلاد لم يطرأ عليه أي تحسن حتى نهاية عصر المماليك<sup>(٤)</sup>.

بناءً على ما تقدم يمكن القول أن عامة الناس في عصر السيوطي، كانوا يعانون من الفقر وصعوبة الحصول على حاجاتهم في أغلب الأحوال، ما عدى فئة السلاطين وحاشيتهم وجماعات التجار والمستنفذين من أصحاب الامتيازات كما يبدو أن لعلماء وطلبة العلم لم تكن حالتهم سيئة نظراً لما يأتي من أوقاف المدارس والمساجد ودور العلم، ولكن السيوطي كان بعيداً عن ذلك كله فقد كان مترفعاً على أهل الدنيا وعلى ملوكها وسلاطينها ومعرضاً عما في أيديهم، لا يلتفت

على الجبهات الخارجية، فنشطت التجارة بين الشرق والغرب بشكل عام، فأدى ذلك إلى ازدهار اقتصادي في حياة مصر ومضاعفة دخول التجارة على سلاطين الدولة، وكان لذلك أثره في مظهر الثراء والبذخ الذي عشاته الطبقة المملوكية وعلى رأسها السلطان الذي صارت له خزانة خاصة<sup>(١)</sup>، كما أصبحت القلعة مقر حكمهم تتكون من قصور كبيرة شبهت بأجنحة تطل على القاهرة، إلا أن هذا الحال لم يدم طويلاً فقد قام البرتغاليون باكتشاف رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م أي قبل وفاة السيوطي بسبع سنوات تقريباً، وتحولت طرق التجارة الدولية عن مصر إلى هذا الطريق، فكان ذلك بداية للتقلص والانكماش الاقتصادي لمصر<sup>(٢)</sup>.

ويحدثنا السيوطي عن نظام الإقطاع العسكري الذي اعتمده سلاطين المماليك، قد حول الناس بحكم صرامة هذا النظام إلى مجرد عبيد لا حرية لهم، بل هم وأولادهم في حكم العبيد للسيد الأقطاعي الذي يستنزف جهدهم ولا ينالون من تعبهم إلا أقل القليل، وقد ترتب على مظالم الأقطاع هذه أن هرب

(٣) محمد بن أحمد الحنفي ابن آياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: مصطفى زيادة، لهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٩١.

(٤) عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١١٠.

(١) عبد المنعم ماجد، عصر السيوطي، من بحوث ندوة مصر، القاهرة، سنة ١٩٧٦، ص ٢٨.

(٢) فوزي جرجيس، دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ١٠.

أليهم ولا يداهنهم ولا يرائيه ولا يتردد الى أحد أصلاً لا في الخلوه ولا في الملاء<sup>(١)</sup>.

### • ثالثاً: الحياة الاجتماعية

وصف السيوطي المجتمع المصري في عصر المماليك عموماً، وحالة مصر حيث عاش السيوطي خاصة، وتكون المجتمع المصري من أعراق عديدة فهناك العرب وهم الأكثرية والأثراك والجراسية والكرد واليهود والنصارى والأقباط والأفارقة السود، وكان النفوذ والسيادة للترك ومن بعدهم الجراسية والكرد واليهود والنصارى والأقباط والأفارقة السود، وكان النفوذ والسيادة للترك ومن بعدهم الجركس الذين كانا يشكلان الطبقة الاجتماعية المتنفذة وصاحبة الأقطاعات الواسعة والتي لم تمتزج بأهل البلاد<sup>(٢)</sup>.

ويقول السيوطي أن طبقة التجار وطبقة العلماء والفقهاء وطلاب العلم يعيشون في وضع اجتماعي مريح ولاسيما الطبقة الأولى، ولكن معظم الفئات الاجتماعية الأخرى والتي تشكل غالب أهل البلاد، تحيا حياة أقرب الى البؤس والحرمان<sup>(٣)</sup>. وقال السيوطي أيضاً أن الحياة الاجتماعية في مصر امتازت في عصر سلاطين المماليك بكثرة

(٤) أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ١٣٨.

(٥) هي طائفة تعبد الله في كل عصر كأنها تراه، وهم أهل الله الذين يأخذوه الأعمال عنه ويرجعون إليه فيها ويشغلون بتزكية الأنفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب بذكر الله ولهم أحوال ومقامات. عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الشيخ عبد الحليم محمود، ط ١، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٦ وما بعدها

(٦) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ١١٣.

(١) عبد القادر بن محمد الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

كثرة المنشآت الدينية، وما زالت القاهرة وكثير من المدن المصرية تمتلئ بالجوامع الجميلة التي يعود تاريخها الى سلاطين المماليك كما يقول السيوطي، وقد قدرت أعداد المساجد بمصر على عصر سلاطين المماليك بأكثر من ألف مسجد<sup>(١)</sup>.

ومع أن أصول المماليك غير عربية، إلا أنهم اعتبروا أنفسهم عرباً بل حماة للعرب والإسلام ضد أعدائهما حتى أنه كانت من ألقاب سلاطينهم سيد ملوك العرب، وكانوا يتعلمون الخط العربي والقرآن وأحكام الشريعة الإسلامية حتى عرفوا أيضاً بالكتابية وقد أتقن السلطان قانصوه الغوري الذي كان معاصراً للسيوطي، اللغة العربية وكان له ولع شديد بالأدب والعلوم كما يفهم في الشعر ومغرمًا بقراءة السير والتاريخ، ولذلك أصبحت القاهرة في عهدهم حاضرة العالم الإسلامي ومركز الأشعاع العلمي والثقافي ولاشك أن هذا النهوض الثقافي والعلمي كان نتيجة لعدة عوامل منها خارجية ومنها داخلية<sup>(٢)</sup>.

#### • العوامل الخارجية :

١- سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد هولاء سنة ١٢٥٨، وحلول القاهرة محلها كعاصمة للخلافة ولثقافة بعد أفول المراكز

• رابعاً: الحياة الثقافية والعلمية  
لقد كان عصر السيوطي، هو عصر الثقافة العربية المزدهرة والحياة العلمية في كانت امتداداً للحياة العلمية قبله، وقد سادة ظن أنه عصر جمود علمي وخمول نظراً لاضطراب الأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، لكنما حصل في الواقع غير ذلك تماماً، إذ كان هذه العصر من أكثر العصور الإسلامية ثراء وخصوبة في الحياة الثقافية والعلمية، فقد عادت الحياة العلمية أيام المماليك أقوى وأهم مما كانت عليه أيام الأيوبيين والفاطميين<sup>(٣)</sup>.

وقد انتشرت المدارس وازدهرت المؤلفات في عصر السيوطي بالذات، بخاصة وأن سلاطين هذه الدولة في أيام السيوطي لم يكونوا بمعزل عن رحاب العلم، فعلى سبيل المثال كان

(١) خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتناء: بولس راويس، المطبعة الجمهورية مدينة باريس المحروسية، ١٨٩٤م، ص ٣١.

(٢) عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٤) محمد بن أحمد الحنفي ابن آياس، المصدر السابق، ص ٨٩؛ أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: الدكتور أحسان عباس، ط٥، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٥٢٥.

### أما العوامل الداخلية فتتمثل بالآتي :

١- احتكار المماليك للسياسة كان أحد الأسباب المهمة في تفرغ العلماء للعلم، بحيث نبغ منهم عدد كبير، كان السيوطي واحداً منهم.

٢- احتلام سلاطين المماليك للعلم والعلماء والافتخار والاعتزاز بكثرة العلماء والأدباء والشعراء في عصرهم وفي بلاطهم كعامل من عوامل التقرب لعموم المجتمع المصري، فقد ذكر السيوطي أن المملوكي لاجين قبل يد الفقيه الحافظ ابن دقيق العيد على ملأ من الناس.

٣- استمرار سلاطين المماليك على نهج الأيوبيين في إنشاء المدارس ومعاهد العلم والمساجد والتي كانت مراكز علمية هامة لطلبة العلم حتى نفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها، كما نص على ذلك ابن خلدون من هذه المراكز التي كانت قائمة في عصر السيوطي<sup>(٥)</sup>.

وقد ظهر في عصر السيوطي علماء كثيرون تنوعت تخصصاتهم وعلومهم في كتب وتراجم كثيرة. وقد أمضى السيوطي من العمر قبل أن يغادر الحياة إلى الدار الآخرة، سنة عقود تزيد سنتين إلا قليلاً، كان العقد السادس الأخير منها في أوائل المائة العاشرة، والعقود الخمسة قبله هي النصف

(٥) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة: أحمد الزغبى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت، ص ٤٧٣.

الكثيرة للثقافة في الشرق.

٢- وفود العلماء والأدباء والشعراء من جميع أنحاء العالم الإسلامي إلى مدينة القاهرة هرباً من بطش المغول أو الصليبيين أو الأتراك في الأندلس، فأصبحت مصر لهذه الأسباب مقصد العلماء المسلمين من كل مكان.

٣- أصبحت ظروف الثقافة والحياة العلمية فر عصر السيوطي مهيناً تماماً، لاسيما وأن المدارس كانت كثيرة في عصر المماليك عموماً حتى أن الرحالة ابن بطوطة، الذي يعد شاهداً عياناً قال (وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها)<sup>(١)</sup>، وبقيت المدارس تتزايد أعدادها باستمرار طوال عصر المماليك<sup>(٢)</sup>.

ومن المهم أن نشير إلى أن السيوطي نفسه كان نتاجاً لهذه المدارس التي تمنح الأجازات العلمية، فقد درس في المدرسة الشيخونية على يد شيخه الشمس الحنفي، ثم عمل فيما بعد استاذاً في هذه المدرسة<sup>(٣)</sup> سنة ١٤٧٣م<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق : الدكتور علي المنتصر الكنانى، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٤.

(٢) شوقي ضيف، عصر الدول والأمارات في مصر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٨٤.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي، التحدث بنعمة الله، ص ٣٢.

(٤) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي، التحدث بنعمة الله، المصدر السابق، ص ٩٠.

الاقتصادية في ذلك العصر إلا أن مصر فقدت أيضاً هذا المركز بعد اتساع نشاط البرتغاليين في الهند باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ أي قبل وفاة السيوطي بست سنوات<sup>(٣)</sup>. وبهذا كله يكون السيوطي قد شاهد ما حدث بنفسه ولاشك أن ذلك كله كان له أثره على السيوطي وهو العالم والمؤرخ والفقير، وبخاصة في تكوين منهجه في كتابه التاريخ<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

الثاني من المائة التاسعة، وكانت هذه المائة كسابقتها المائة الثامنة من أغنى حقب تاريخ الحضارة الإسلامية حضوراً للأعلام الذين كان لهم الدور الأبرز والأهم في إثراء الحضارة الإسلامية والحفاظ عليها<sup>(١)</sup>.

عرفنا في السابق أن السيوطي عاش في عصر، بدأت فيه دولة المماليك في مصر عانت من أسباب الأفول والتدهور والانهيار التدريجي نتيجة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وكان شاهداً على هذا العصر الذي طفق بمؤامرات السلاطين والأمراء وبالفساد المستشري بين موظفي الدواوين والأقاليم، فضلاً عن الفتن وانعدام روح النظام وكثرة تزايد شرك المماليك الأجلاب وثوراتهم وتمرد بدو بعض المناطق، وتزايد المنازعات والمنافسات بين طوائف المماليك<sup>(٢)</sup> ن وتزامن مع ذلك كله انهيار اقتصادي وتكرار حوادث المجاعات وهجوم الأوبئة والطواعين بمالها من آثار وخيمة على مصر التي اعتمدت على الزراعة طيلة تاريخها، ومهما يكن من أمر أن للزراعة أهمية كبيرة في تاريخ مصر ولكن مهما يكن للزراعة من أهمية في عصر المماليك إلا أن التجارة لها المقام الأول والأهم في النشاط

(١) عدنان درويش، اتهام الجلال السيوطي بين التبرئة والأدانة، من بحوث ندوة القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٢٥.

(٢) محمد بن أحمد الحنفي، ابن أياس، المصدر السابق، ص ٣٠٤.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن إبي بكر السيوطي، تاريخ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

سلاطين المماليك الذين فوض إليهم الخلفاء العباسيون في مصر فاستبدوا بالأمر دونهم وأنفردوا بالسلطة حتى أصبح الخليفة مجرد أمير في حاشيتهم، كما كان ينتقد تردد بعض أهل العلم والدين على أبواب السلاطين والطمع في الحياة والمنصب.

## الخاتمة

لعلنا المحاولة في دراسة حياة ونشأة السيوطي العلمية، وما عاصرها من أحداث التي مرت في أحوال مصر عند حكم المماليك، نستطيع في نهاية دراستنا أن نبين أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهذه النتائج هي:

\* \* \*

١- تميز عصر المماليك في مصر الذي عاش فيه السيوطي، بالرغم من اضطراب فتراته بازدهار العلم والاهتمام بالعلماء والأبداع وانتشار التعليم.

٢- تقديم سيرة مركزه لكنها شاملة عن عموم حياة السيوطي، وتميزت كما تدعي بالأسلوب العلمي العصري الحديث، فقد أستطعنا تسليط الضوء على سيرة السيوطي وبخاصة ما يتعلق بأسرته ونسبه.

٣- توصلت الدراسة الى تأكيد الحقيقة التي مفادها أن الاستقرار والهدوء السياسي لهما الأثر في إنتاج مبدعي أي بلد، ولهذا وجدنا أن الفترة الطويلة من الهدوء السياسي التي عاصرها السيوطي والممتدة تحديداً من ١٤٦٨ - ١٥٠١ هي من أخصب وأزهى فترات حياته العلمية تأليفاً وإنتاجاً.

٤- استطاعت الدراسة أن تتقصى أو تلقي أضواء مهمة من النظرية السياسية للسيوطي التي يتبناها، فقد كان السيوطي ينتقد بشدة موقف

## قائمة المصادر

- المماليك، الجراكسة من خلال تحقيق مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ٩- بازتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.
- ١٠- برنار دلويس، لغة السياسة في الإسلام، ترجمة: إبراهيم شتر، ج١، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، ١٩٩٣.
- ١١- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.
- ١٢- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: علي سامي النشار وآخرون، مجمع البحوث الإسلامي القاهرة، ١٩٧٠.
- ١٣- خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، اعتناء بولس راويس، المطبعة الجمهورية مدينة باريس المحروسة، ١٨٩٤.
- ١٤- رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير، جامع التواريخ، تحقيق: محمد صادق نشأة وآخرون، مراجعة يحيى الخشاب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مج٢، د.ت.
- ١٥- سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في بلاد الشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.
- ١- أبوالمحسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- ٢- أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٣- أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ٤- أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- ٥- أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- ٦- أحمد سوسه، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٨.
- ٧- إسماعيل الجوهري، معجم الصحاح اعتناء خليل مأمون شيحا، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٨- إيمان عمر، السلطان برقوق مؤسس دولة

- ١٦- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة أحمد الزغبى، دار الأرقم ابن الأرقم، بيروت، د.ت.
- ١٧- عبد العال سالم مكرم، جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٨- عبد القادر بن محمد الشاذلي، بهجت العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : الدكتور عبد الإله نهان، دمشق، ١٩٩٨.
- ١٩- علي بن داود الجوهري، ابن الصيرفي، أبناء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ٢٠- علي بن محمد الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.
- ٢١- علي عبد الرؤوف، مؤلفات السيوطي من بحوث ندوة القاهرة، ١٩٧٦.
- ٢٢- العيد روس، النور المسافر، بيروت، ١٩٨٥.
- ٢٣- فوزي جرجس، دراسات في تاريخ مصر السياسي منذ العصر المملوكي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- ٢٤- قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٢٥- محمد بن أحمد الحنفي ابن الياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ٢٦- محمد بن سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٩.
- ٢٧- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تصحيح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٢٨- محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، المنح البادية في الأسانيد العالية، بيروت، ١٩٧٩.
- ٢٩- محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب، السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٣٠- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار أحياء التراث، بيروت، ج١٣، ١٩٩٩.
- ٣١- محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١.
- ٣٢- نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

## Introduction

The writings of al-Suyuti (Jalal al -Din ibn Abd al Rahman inb Abi Baker) and the impact has occupied hundreds of schools and specialists both in his time and after it to this day, and we still see students in the universities submit their research and their scientific studies to select the studies of Al-Suyuit for explanation, investigation and analysis, because the Suyut is one of the most predominate intellectual figures in the fifteenth century an icon for science and of knowledge for human culture.

Al-Suyuti had mastery in all fields of the Arabic sciences. He left almost on sea of science knowledge of humanity in his time that he had not taken its depth as well as he shed the light on the aspects of cultural and natural, economic and political matters that were in the time the most prevalent in Egypt.

The research was separated into two topics introduction and conclusion the first topic dealt with his life and scientific development while the second topic included the Suyunit

and his are during the Mamluk rule in Egypt.

The research was based on a number of important sources a book history “ A Good lecture in the history of Egypt and Cairo “ to its author Jalaluddin al-Suyuit the investigation of Elizabeth Mary Sartin. Which was to the research the most source of valuable information in all its aspect.

Also, the book of Abdul Qadir bin Mhammed al-Shazly, titled “Bahjat Al.Ab-din Translated by Hafiz Asr Jalal Al-Din Al-Suyuit and what experienced from the rule of the Mamluks in Egypt.

And many other book that were a source for the most valuable information.

\* \* \*

